مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٦ع١ ص ص: ٢٧٥- ٢٩٦ (٢٠١٨م)
DOI:10.4197 / Art.26-2.12

اختيار العواصم الإسلامية: الأسباب والدوافع

عذاري بنت ابراهيم بن عبد العزيز الشعيبي

جامعة الملك فيصل

مستخلص يعد اختيار العاصمة (لأي خلافة أو دولة) محوراً أساسياً في تكوينها : التنظيمي، والاقتصادي. وهو يعطي انطباعاً عن : تموضعها الاجتماعي، ورؤيتها لمستقبلها السياسي. وتعد الدوافع التي تقف خلف هذا الاختيار دليلاً على أهميتها –في الغالب– وهذا دليل غير معلن .وهو ما يتطلب من الباحثين: دراسته، واستنباطه، وربطه بالأحداث السابقة ، والتالية لاختيار هذه العاصمة.

وقد تعاقبت دول عديدة في حكم الأمة الإسلامية وقيادتها على نطاق واسع (أو إقليمي)، ولكل خلافةٍ(أو دولةٍ) عاصمة في معظم الأحيان تكون مستحدثة (غير تلك التي اتخذتها الدولة التي تسبقها) مما يستدعي: البحث ،والدراسة لأسباب اختيار تلك الدول لعواصمها ، وتحليل الدوافع التي تقف خلف ذلك الاختيار؛ للتعرف إلى العوامل المشتركة (في تلك الدوافع بين الدول). لهذا كله، جاء هذا البحث : لدراسة هذه الدوافع ، وتحديد بعض العوامل المشتركة ،بين الدول في اختيارها لعواصمها.

ونتيجةً لذلك ، اختارت الباحثة أربع عواصم (هي الكوفة، و دمشق، و بغداد، و القاهرة) عينةً مختارةً لأبرز الخلفاء في التاريخ الإسلامي. وقد قسمت الباحثة البحث إلى عدة أجزاء رئيسة ،حاولت من خلالها ، تناول مميزات تلك العواصم من النواحي :الجغرافية ، والاستراتيجية، و العسكرية ، و السياسية، والاقتصادية .

وختمت الدراسة بخلاصة: بينت فيها أهم نتائج البحث التي تم التوصل إليها . وإجمالاً، تشير النتائج إلى :أن العامل الجغرافي المكاني (لموقع العاصمة) هو أهم ما يركز عليه عند اختيار العاصمة . وكذلك الحرص على أن يتوفر بالعواصم نوع من الاكتفاء الذاتي (في التموين الاقتصادي) حتى لا تكون بحاجة : لأي معونة، أو مدد خارجي ،إلا ما ندر .ولم يهمل الحكام والخلفاء في اختيارهم لعواصمهم أن تكون: مركز أنصارهم ، ومؤيديهم ، أو قريبة منه ،على أقل تقدير .

وهكذا ، نجد أن اختيار العواصم الإسلامية كان له رؤية مدروسة وتخطيط سليم ، و ملامح أساسية مهمة يعطي للدولة : قوة سياسية ، وأهمية اقتصادية ، وعسكرية تساعدها على أن تستمر(من خلالها مزدهرة قوية، لفترات طويلة).

الكلمات المفتاحية : التاريخ الاسلامي – العواصم الاسلامية – الحضارة الاسلامية .

المقدمة

كانت الدول – منذ القدم – تمثل مجموعة من الأفراد، يستوطنون بقعة، معينة. و لهم أنشطتهم الاجتماعية والاقتصادية (ضمن نظام سياسي محدد، من مسؤولي الدولة، والذين يترأسهم : الملك ،أو الحاكم، أو الخليفة). ولهذه الدول : سياسات، وقواعد ترتكز عليها، لتضمن البقاء قوية، ومزدهرة، لفترة طويلة.

ولعل الشعب من أهم تلك القواعد. فهو أساس الدول التي لا تقوم للدول قائمةٌ من دونه. فولاء الشعب لدولته أمر مهم ، لا يستهان به. فهو: عماد الدولة، وركيزتها الأولى . ويليه بالأهمية المكان (أو الاقليم)الذي يستوطنه هذا الشعب ، فيقيم على ثراه علاقاته: الاجتماعية، والسياسية ،والاقتصادية.

وللموقع الجغرافي أهمية قصوى. فمن المهم ، أن يكون المكان استراتيجياً ذا طابع اقتصادي مهم. وغالبًا ما يكون في: منطقة تجارية ،أو زراعية، أو على خط تجاري هام، أو يكون قريبًا من المدن المزدهرة اقتصاديًا، فيتأثر بنشاطها وازدهارها. ولكن ليس بالضرورة أن تتميز كافة أقاليم الدولة، بتلك الخصائص المتعددة . وهناك نقطة أساسية بالإقليم ؛ و من الأفضل لكل دولة (أو خلافة)أن تحرص على أن يكون فيها أكبر قدر ممكن من تلك الخصائص ،(خاصة أن العاصمة تعتبر القلب النابض للدول، ومصدراً من مصادر: قوتها،وثباتها، وديمومتها). فهي المدينة الأساسية التي تدور حولها الدولة، وتتمركز بها أنظمة: الحكم، والسلطة (إبراهيم مصطفى وزملاؤه ، د. ت ، ج٢، ص٦٠٥) وغالباً ما تكون العاصمة مقر إقامة الخليفة أو السلطان.

ولأهمية العاصمة، فقد حرص كل خليفة (أو حاكم)على انتقاء عاصمته بعناية. حتى أنه من شدة حرصهم أن بعضهم كان يتوّج ملكًا (أوحاكمًا) على عاصمةٍ ما، ولكنه يجد – بعد فترة– أن هذه المدينة لا تفي بمتطلبات العاصمة له –بأي حال من الأحوال– وذلك لعدة اعتبارات: سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية؛ فيشرع في : تغييرها، واستبدالها (بما تتناسب مع وضعه، وظروف عصره). وعلى الرغم من ذلك، فإن تغيير العواصم للدول لم يكن بالأمر الهين أيضاً، فكان يترتب على اختيار العاصمة والانتقال إليها –إن كانت موجودة– أو كانت تخضع للبناء عدة أمور . فلم يكن الاختيار عشوائياً قط؛ بل كان يخضع: لشروطٍ عدة، و مواصفاتٍ محددة. وقد مر على تاريخنا الإسلامي، منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى قيام الدولة العثمانية عدة عواصم إسلامية تتميز بتعدد أماكنها، وتنوع مميزاتها، ولكنها كانت تتوافق (أو تتناسب) مع احتياجات (أو ظروف) الخليفة الذي سكنها، وانتقل بحكمه، وسلطته، والمقربين منه، إليها.

وهنا في هذا البحث ، حاولت الباحثة جاهدةً دراسة أسباب اختيار بعض العواصم الإسلامية المهمة – خلال التاريخ الإسلامي الأكثر شهرة– . محاولةً توضيح: مميزات كل عاصمة ، و دوافع اختيارها ، والنتائج المترتبة على هذا الاختيار.

ولأن المدينة المنورة لها وضع خاص (كونها العاصمة الأولى في التاريخ الإسلامي وباختيار الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولأن للنبي ظروفاً خاصة مرتبطة بأمور سماوية، فإن الباحثة رأت عدم تناول المدينة المنورة ضمن عواصم البحث . ولقد تشكل هذا البحث من المدن التالية : الكوفة، و دمشق، و بغداد، والقاهرة (التي أسقطت على يد العثمانيين في العصر الحديث).

وقد تم اختيار العواصم الأربع، لكونها تمتلك صوراً متنوعة من الكينونة من الناحية: الجغرافية، والاقتصادية، والاجتماعية، والمدة الزمنية التي استغرقتها كعاصمة. فهناك عواصم لدول كانت ذات فترة قصيرة كالكوفة، مثلا. وهناك من ظلت فترات طويلة كبغداد، وهناك عواصم كانت حصراً على خلافة معينة كدمشق عاصمة الامويين . وهناك عواصم تواتر عليها أكثر من خلافة كالقاهرة . أما من ناحية المكان فاختارت الباحثة التنويع بين الأماكن في مجال البحث، فهناك عاصمتان في العراق ، وثالثة في مصر، ورابعة في الشام .

ونتيجة لذلك قسمت الباحثة البحث إلى عدة أجزاء رئيسة؛ حاولت من خلالها تناول تلك العواصم الإسلامية الأربع وذكر مميزاتها و مدى توافقها مع الخليفة الذي بناها وأنشأها أو انتقل إليها . وقد جاءت كالتالي: التحول إلى الكوفة ، التحول إلى دمشق، التحول إلى بغداد ، التحول إلى القاهرة، وختمت الباحثة الدراسة بخلاصة بينت فيها أهم نتائج البحث التي تم التوصل إليها.

التحول إلى الكوفة

اختيرت المدينة المنورة عاصمة سياسية للدولة الإسلامية، منذ حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فأصبحت مركزاً: للقيادة، والريادة (يقطنها جل الصحابة من الصفوة الأخيار)، وانتقال عاصمة الخلافة منها إلى الكوفة لم يكن بالأمر اليسير. فقد كانت المدينة المنورة مقراً للرسول، وعاصمةً لدولته، ثم سار من بعده الخلفاء الثلاثة الراشدون. ولكن الأمر كان مختلفاً في عهد الخليفة علي بن أبي طالب. فالظروف السياسية، في عهده ،أجبرته على التفكير في تغيير المدينة المنورة (مهد قيادة الأمة الإسلامية، ومسكن جماعة الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار)، و التفكير بالانتقال منها إلى مكانٍ آخر أكثر أماناً . و بعد أربعة أشهر، من مبايعته بالخلافة، خرج من المدينة المنورة ليقابل معاوية بن أبي سفيان، ويتفاوض معه. وخلال ذلك، وصل إلى علمه خروج : طلحة، والزبير، وعائشة، وتوجههم إلى البصرة للمطالبة بالقصاص من قتلة الخليفة عثمان بن عفان، فخشي أن يكون هذا الأمر بداية الفتن والاضطرابات. فقرر التوجه للعراق،

لمنعهم من إثارة أهله درءاً لأي فتنة (أو قتال) بين المسلمين (الديار بكري ، د. ت ، ج٢، ص٢٧٧). ويبدو أن قرار خروج علي بن أبي طالب لم يكن مخططاً له من قبل إذ لم يكن في نيته لنقل عاصمة الحكم من المدينة المنورة إلى الكوفة (ابن الأثير، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ج٢، ص٥٨٢). و تدل المؤشرات العامة أن خروجه كان للقيام بمهمةٍ عسكريةٍ، وسياسية، ثم يعود بعدها إلى المدينة المنورة، مرة أخرى. وهو ما فهمه الصحابي الجليل عبد الله بن سلام حيث حاول منعه من الخروج من المدينة المنورة ، ونصحه بالبقاء فيها؛ لأنه كان متيقناً أنه ما إن يخرج منها، فلن يرجع إليها وهو حاكمٌ للمسلمين فيها مرة أخرى (ابن الأثير، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ج٢، ص٥٨٣، الطبري، ١٣٨٧ هـ، ج٤، ص٤٥٥).

اختار الخليفة علي بن أبي طالب الكوفة، تلك المدينة ، وسط العراق ، [أُسست زمن خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ؛ حين طلب من سعد بن أبي وقاص إيجاد معسكر لجيش المسلمين خلال فتوحاته لبلاد العراق، فوقع اختياره عليها ، فاختطّها ، وقسّم أراضيها ، على المسلمين ، ليبنوا فيها منازلهم ، ثم بنى فيها المسجد] (البلاذري، ١٩٨٨ م، ص٢٧٠) . وكان اختيار علي لها تحديداً لعدة اعتبارات: استراتيجية ، وسياسية، وجغرافية، واجتماعية، مهمة تيقن أنها سوف تساعده على مواجهة الضغوط السياسية التي يعيشها مع الصحابة المطالبين بالقصاص من قتلة الخليفة عثمان بن عفان، ولعل أبرز تلك الاعتبارات ما يلي :

أولا: الناحية الجغرافية للكوفة: حيث تتميز بأنها تقع في وسط الدولة الإسلامية . وهذا الموقع قريب من عدة مناطق مهمة: كبلاد الشام، والعراق، وفارس، والعديد من المدن ، والأمصار المفتوحة (في خلافة عمر بن الخطاب)، والكوفة هي الأقرب للشام منها للحج ([1]). ويبدو أن الخليفة علي بن أبي طالب كان يتوقع أن تشهد تلك المناطق (في الدولة الإسلامية) تحركاً: سياسياً ، وعسكرياً واسعاً ، قد يتحدد معها مصير الدولة ومستقبلها. وهو ما حرص عليه الخليفة علي بن أبي طالب ليكون قريباً من المدن المخالفة له، والخارجة عن طاعته ، لتثبيتها ومعالجة أمورها، والنظر في أي حالة: تمرد ، أو انفصال ، قد يحدث بها .

ثانيا: الناحية الاقتصادية للكوفة: كان اختيار الكوفة هو الاختيار الأفضل ، كما أن الخليفة علي بن أبي طالب كانت لديه توقعات مستقبلية ، بقيام مواجهات عسكرية بينه وبين المطالبين بالقصاص من قتلة عثمان والمخالفين له . لذا كان لابد له من الاستعداد بتكوين جيش قوي يعتمد عليه. ومن الطبيعي أن يحتاج الجيش تموينا اقتصادياً كبيراً؛ وحيث إن الاقتصاد في المدينة المنورة– لا يعول عليه بدرجة كافية – لتغطية مصاريف القتال ، وتهيئة الجيش، والجند [خاصةً إذا وضعنا بالاعتبار أن قوافل

التموين القادمة إليها قد تُهدَّد بالسلب، والنهب (من قبل المتمردين) إضافة إلى أن موقع المدينة المنورة بعيد عن مناطق التموين في الدولة الإسلامية: كالعراق، والشام ، ومصر]. أما الكوفة فكانت الأفضل من هذه الناحية . فلديها القدرة على التموين الاقتصادي لجيش الخليفة علي بن أبي طالب وقت الحرب- بدرجة عالية - فبما تملكه من تربةٍ غنية تحمل ثرواتٍ زراعيةٍ هائلة، و من توفر المياه الدائم فيها من خلال نهر الفرات (أبو حنيفة الدينوري، ١٩٦٠ م ،ص١٥٢). و كذلك قربها وسرعة تواصلها مع المدن العراقية الأخرى (ذات الثروات الاقتصادية العالية عند الحاجة، لأي مدد، أو عون إضافي) .

ثالثا: من الناحية العسكرية للكوفة: وهو سببٌ هامٌ لم يغفله الخليفة علي بن أبي طالب عندما قرر الخروج من المدينة المنورة ، والانتقال إلى الكوفة. وهو أن أكثر أهل المدينة من الصحابة الكرام ملتزمون طريق الحياد ومبتعدون عن الساحة السياسية . فلم ينضموا لأي فريق ورعاً وتقوى . فهم يرون أن كِلا الفريقين على حق ، وأن الصلح هو الحل الأمثل لهم ، وأن ما يحدث هو فتنة وقع بها أغلب المسلمين فآثروا الابتعاد عنها ، وعدم الانضمام لأحد صفوفها (أبو حنيفة الدينوري، ١٩٦٠م، ص١٤١) . لذا لم يكن الخليفة علي بن أبي طالب ليعتمد عليهم - بشكل كبير- أو ليشكل منهم جيشه ، و كان هناك بعض الصحابة ممن لم يبايعوا، أو بايعه مكرهاً. و كان منهم فئة من المخالفين لسياسته في طريقة إدارته للحكم (ابن العبري، ١٩٩٢ م، ص١٠٥؛ أبو الفداء ،د. ت ، ج١، ص١٧٠، ابن الوردي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ج١، ص١٤٧) . ولو بقيت المدينة هي العاصمة فلن تستطيع عمل طوق من الحماية القوية للخليفة علي ، كما ستكون جميع الأسرار العسكرية ، والخطط الحربية، مكشوفه ومعروفه عند الجهة المخالفة وقد يؤدي هذا لبعض مواقف الخيانة التي قد تحدث للخليفة علي بسبب وجود مخالفين له بالمدينة ، ممن لهم تواصل مع مؤيديهم بالخارج (من خلال الاطلاع على خفايا أمورهم ودقائق تفاصيلهم). أما أهل الكوفة، فكان العديد منهم متذبذبين لم يتخذوا رأياً ولا قراراً في قضية قتلة عثمان وسياسة علي . فكان من السهل على الخليفة علي بن أبي طالب أن يجذبهم إلى جانبه ، خاصة أنه وجد منهم بعض الميل تجاه سياسته . وهو ما اتضح له عندما قدم الحسن بن علي ، ومعه عمار بن ياسر إلى أهل الكوفة طالبين منهم نصرة علي بن أبي طالب فاستجاب له جمع كبير من أهل الكوفة، وانضموا إليه خلال معركة الجمل (الطبري، ١٣٥٦هـ، ج٣، ص١٠، أبو حنيفة الدينوري، ١٩٦٠م، ص١٤٥) . وحتى بعد إقامته بالكوفة كان غالب أهلها منقادين له في معاركه ضد المخالفين له . ولم يكن يتخلف عنه إلا جمع قليل ، من قراء القرآن: آثروا الابتعاد عن الفتنة (أبو حنيفة الدينوري، ١٩٦٠م، ص١٦٥).

كما كان اختيار الكوفة أمراً عسكرياً صائباً من وجهة نظر الخليفة علي بن أبي طالب ؛ فقد رأى أن الكوفة تمتلك طاقات بشرية كبيرة. وهي بذلك تستطيع تأمين عدد كافٍ من القوات البشرية القتالية ، كما أنها تستطيع توفير مدد بشري إضافي من مدن العراق الأخرى ، متى احتاج جيش الخليفة علي بن أبي طالب لذلك؛ لقربها من المدن ذات الكثافة السكانية العالية .

ومن ناحية سياسية ، تبرز أهمية الكوفة – مرة أخرى – خياراً جيداً للخليفة علي بن أبي طالب . ومما يذكر أن البيئة العراقية مازالت متمسكة بالعادات، والتقاليد القبلية ، بالرغم من دخول الإسلام إليها . فالطاعة العمياء، والانقياد لزعيم القبيلة ، كان أكثر تأثيراً من أي شيء آخر. فكان من السهل استدراج أهل العراق عن طريق الأموال، والمناصب، للانضمام إلى فئة معاوية بن أبي سفيان وتأليبهم على الخليفة علي بن أبي طالب (وخاصة مع القرب الجغرافي بين العراق والشام) .

ويبدو أن الخليفة علي بن أبي طالب كان مدركاً لهذا الأمر، ورأى أنه لو انضم العراق مع الشام، فإنه سيكون في موقف : سياسي، و اقتصادي، وعسكري، صعب جداً. ولهذا رأى أن يرحل إلى العراق ، ويكسب جانب العراقيين وتوظيفهم في جانبه ؛ حتى يصبح قريباً من مركز الأحداث ، مطلعاً على ما يدور، حتى يسهل عليه متابعة الأمور والسيطرة عليها ، قبل أن تخرج منه لغيره(أبو حنيفة الدينوري، ١٩٦٠م، ص١٤٤).

ويتضح ذلك من رد علي بن أبي طالب على الصحابي عقبة بن عامر (حينما حاول أن يثنيه عن الخروج من المدينة المنورة ، متوجهاً إلى الكوفة)، فقال له : إن الرجال ، و الأموال بالعراق ، وأهل الشام لهم وثبة أحب أن أكون قريباً منهم (أبو حنيفة الدينوري، ١٩٦٠م، ص١٤٣) .ولعل هذه الأسباب الثلاثة الأخيرة هي ما حرص عليه الخليفة علي بن أبي طالب عندما اختار الكوفة : للانتقال إليها ،والإقامة فيها .

رابعا: من الناحية الدينية: من المحتمل أن الخليفة علي بن أبي طالب رأى أن يبتعد عن المدينة المنورة خوفاً من حدوث (أي : معارك، أو خلافات سياسية ؛ لما تحمله من مكانة وحرمة دينية مقدسة)، حتى لا تصبح متاحة لأي فتن (أو حروب) قد تحدث فيها. وقد يكون ما حدث – أمام عينيه – من اختراق لبيت الخليفة عثمان بن عفان وقتله في مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) غير مقبول بالنسبة له خلال فترة خلافته. ولهذا كان انتقاله إلى الكوفة ليحفظ للمدينة المنورة : قدسيتها ، و مكانتها، (بعيداً عن أي: خلافات، أو فتن سياسية).

وهكذا تم اختيار الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية في فترة خلافة علي بن أبي طالب. وظلت كذلك حتى قتل فيها في رمضان سنة ٤٠ هـ على يد عبد الرحمن بن ملجم (حيث فاجأه عند دخوله المسجد

بضربة من سيف مسموم فمات في ليلته ودفن بالكوفة)(ابن حزم الاندلسي ، ١٩٠٠ م، ص٣٥٥، الطبري ، ١٣٥٦هـ، ص١١١) . وبوفاة الخليفة علي بن أبي طالب وتنازل الحسن بن علي عن الحكم لمعاوية بن أبي سفيان (حقناً لدماء المسلمين) انتهت الكوفة كعاصمة، حيث قرر معاوية بن أبي سفيان أن تكون دمشق هي عاصمته (وقت خلافته). وبهذا تكون فترة كون الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية أربع سنوات وسبعة أشهر؛ (الطبري ، ١٣٥٦هـ، ص١١٦) و كانت هذه المدة الزمنية هي فترة خلافة علي بن أبي طالب .

التحول إلى دمشق:

كان من الطبيعي أن تتغير العاصمة من الكوفة، إلى أي مدينة أخرى . فالكوفة يقطنها أنصار علي بن أبي طالب و بقية أهله . ومن أخذ الحكم خلفاً له هو معاوية بن أبي سفيان (٢) ذلك الذي كان في صراع مع الخليفة علي طوال حكمه (الطبري ، ١٣٥٦هـ، ج٥، ص١٤٠) . فمشاعر أهل العراق – عموماً – و الكوفة تحديداً لم تتقبل فكرة أن يتولى الحكم شخص من خارج ذرية علي بن أبي طالب . فكان الابتعاد عن العراق لتأسيس دولة جديدة ، هو الخيار الأمثل، لأي خليفة جديد . ولأن معاوية بن أبي سفيان هو خليفة المسلمين (بعد علي بن أبي طالب نظراً لتنازل الحسن بن علي) (ابن قتيبة الدينوري ، ١٩٩٢ م؛ المسعودي ، د. ت ، ص ٢٦٠؛ ابن حزم الأندلسي، ١٩٠٠ م، ص٣٥٦) ، ومع أن هذا التنازل الذي اختاره الحسن حقناً لدماء المسلمين ، ومنعاً لأي خلاف ، إلا أنه كان قرارًا غير مستحب، بل ومرفوضاً من أنصار: علي ، و أتباعه . ولذا كان من البديهي، أن يقوم معاوية بن أبي سفيان (وهو الخليفة الجديد) بالابتعاد عن كل ما له علاقة بعلي بن أبي طالب، حيث قرر أن تكون دمشق عاصمة له [تلك المدينة التي فُتحت في خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٤هـ] وقد ذكر النبي (عليه الصلاة والسلام) بأنها خير مدائن الشام (الفسوي ، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م ، ج٢، ص٢٩٠،ج٣، ص٢٩٦؛ الحموي ، ١٩٩٥ م، ج٢، ص٤٦٥) .

ولقد كان اختيار دمشق تحديداً لعدة اعتبارات: استراتيجية، و سياسية، وجغرافية ، واجتماعية ، مهمة. وقد تيقن من خلالها أنها سوف تساعده على : تثبيت حكمه ، واستقرار سلطانه . ولعل أبرز تلك الاعتبارات ما يلي :

أولا: الموقع الجغرافي لدمشق: تتميز دمشق بموقع جغرافي رائع . فهي تقع في بلاد الشام ، على أرض مستوية ، تحيط بها الجبال العظيمة (ذات المغارات ، والكهوف، من جميع جهاتها) (الحموي ، ١٩٩٥م، ج٢، ص٤٦٥). وتتميز دمشق –عن غيرها من بلاد الشام– بكثرة: الأنهار، وقنوات المياه بها ، فالمياه تجري في كل قنواتها حتى أخذت المياه تخرج من حيطانها في أنابيب تصب في أحواض يشرب منها العامة . ولا توجد مدرسة ، ولا مسجد، إلا وله بركة

ماء و ميضأة (الحموي ، ١٩٩٥م ، ج٢، ص٤٦٥). ويبدو أن معاوية بن أبي سفيان وجد ميزة مهمة لهذا الموقع الجغرافي الحصين لدمشق. فهي تحمي المدينة من أي اعتداءات خارجية ، لصعوبة الوصول إليها من الجبال المحيطة بها.

ثانيا: الناحية الاقتصادية: فدمشق – بلا شك – هي أفضل مدينة لتكون العاصمة الجديدة . فطبيعتها جعلتها أحد جنان الدنيا الأربع . فكثرة المياه ، وخصوبة الأرض، ساعدت على ازدهار الزراعة فيها ، فانتشرت فيها : أصناف الأشجار، وأنواع الثمار، من الفواكه والخضار، حتى تعددت أصنافها، ومذاقها ، وفاض إنتاجها، فرخص سعرها ، و انخفض ثمنها ، حتى أصبحت ثمارها ترسل إلى البلاد من حولها(القزويني ، د. ت، ص١٨٩، الحموي ، ١٩٩٥م ، ج٢، ص ٤٦٥).

ولقد كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان حريصاً على أن تكون عاصمة دولته ومقر جيشه ، ذات تموين غذائي مستمر ، بجودة عالية ذات تكاليف رخيصة .وهو أمر مهم يحرص عليه أي خليفة . ففي حال قيام حرب ، وخلال الحصار تكون المدينة قادرة على إمداد نفسها بالتموين الغذائي ، حيث لا تكون بحاجة لأي معونة خارجية(أو مدد إضافي خارجي) فتظل صامدة قوية، لمدة طويلة . وهذا ما كان متوفراً في دمشق.

ثالثا: الناحية العسكرية: حرص معاوية بن أبي سفيان على اختيار دمشق عاصمة له، حيث كان الأغلبية في العراق (وخصوصاً أهل الكوفة) مستائين لخروج الخلافة من ذرية علي بن أبي طالب ، فكانوا يريدونها في سلالته لا تخرج عنها (خاصة مع وجود ابنيه: الحسن، والحسين). فالكوفة كانت تفور كالبركان الثائر ، ضد خلافته، وكان أهلها يستعدون للقضاء عليه واسترداد الخلافة منه ، ولم يكن له فيها شيعة ولا مناصرون. وهو على عكس أهل الشام (و دمشق تحديداً) الذين كانوا يرون أحقية معاوية بن أبي سفيان بالخلافة على غيره من أبناء علي بن أبي طالب ، وخاصة أن دمشق كانت مناصرة لمعاوية بطاعتها إياه لسنوات طويلة (منذ أيام ولايته عليها ، زمن الفاروق عمر بن الخطاب) ، حيث سكنها معاوية بن أبي سفيان مدة سبع سنوات وبعدها في ولاية عثمان بن عفان حين أصبح والياً على الشام (ابن كثير، ١٩٨٨ م،ج٨،ص٢١). اثنتي عشرة سنة (أبو حنيفة الدينوري، ١٩٦٠م ،ج١، ص ١٤٠-١٤١؛ ابن العبري ، ١٩٩٢م، ص ١٠١). و لقد وطدت هذه السنوات الطويلة علاقته مع :أهلها، وسكانها ، فدخل بعلاقات نسب و مصاهرة معهم . ومن هنا أصبح له أشياعه ، ومناصروه، والمدافعون عنه ،وعن خلافته (أبو حنيفة الدينوري ، ١٩٦٠م ، ج١، ص١٤١؛ العمري، ١٤٢٣هـ، ج٢٤، ص٣٣٧؛ ابن قتيبة الدينوري، ١٩٩٢ م، ص٢٨). فكان أهلها يمثلون طوق الحماية لخلافته ، وحكمه، بإخلاصهم له ، وتفانيهم في خدمته (العمري، ١٤٢٣ هـ، ج٢٤، ص٣٣٧).

وهناك سبب آخر : فإن جيش معاوية بن أبي سفيان تشكلت غالبيته من مدن بلاد الشام وبأكثرية من أهل دمشق . فهم مستعدون للدفاع عنه وحمايته ضد كل من يخالفه ، أو يقف في وجهه . فهو أمر هام، أن يكون الإخلاص والتفاني في خدمة الخليفة من أساس مبادئ الجيش . وهو الأمر الذي يساعد على ندرة الخيانات بالدولة، وانعدام الاضرابات ،والثورات، مما يعطي الخلافة قوةً وثباتاً . يضاف إلى ذلك أنه خلال فتحه لها ، وإدارته لشؤونها عرف: مداخلها ، ومخارجها ، و جميع التفاصيل الدقيقة عنها ، فسهل عليه إحكام سلطته عليها . وهكذا ظلت دمشق عاصمة للخلافة الأموية لمدة ٩٢ سنة ، حتى سقطت على يد الخلافة العباسية سنة ١٣٢هـ (ابن حزم الاندلسي ، ١٩٠٠ م، ص٣٦٧).

التحول إلى بغداد

انتهت الدولة الأموية على يد العباسيين بمقتل آخر خلفائها (وهو الخليفة الأموي مروان بن محمد سنة ١٣٣هـ) (٣) . ورأى العباسيون أن بلاد الشام تعج بالمناصرين للدولة الاموية والغاضبين من إسقاطها . فبحث أبو العباس السفاح (٤)، عن مدينة يتخذها عاصمة له، ولدولته الجديدة. ومن هنا توجه إلى العراق ، واختار الكوفة ملاذاً: له، ولجماعته ، (حيث كانت مجمع أنصاره ومؤيديه) (مسكويه، ٢٠٠٠ م، ج٣، ص٣١٣) . وبعد ذلك قام ببناء مدينة أسماها الهاشمية (قبالة الكوفة) ،ونزل بها فترة من الزمن . ولكن بعد سنتين، فقط ، انتقل عنها إلى الأنبار ، وبنى فيها مدينته حيث مات فيها (خليفة بن خياط ، ١٣٩٧هـ، ص٤١١؛ ابن حزم الاندلسي، ١٩٠٠م ، ص٣٦٧؛ البلاذري ،١٩٨٨م ، ص٢٨١؛ ابن الوردي ، ١٩٩٦م ، ج١، ص١٨١)، وعندما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة سنة (١٣٧هـ) أقام بالهاشمية ، وزاد بناءه فيها، ولكن الثورات قامت عليه في مدينته الهاشمية من قبل الراوندية (٥)، فكرهها؛ ولأنها كانت قريبة من الكوفة ، فإنه لم يأمن على نفسه من أهل الكوفة (وخاصة بعد إفسادهم لجنده) فقرر أن يبتعد عنهم مع بقية معسكره (ابن العبري ، ١٩٩٢م ، ص١٢٢؛ ابن كثير ، ١٩٨٨م، ج١٠ ، ص١٠٣؛ ابن الوردي، ١٩٩٦م ، ج١، ص١٨٦؛ أبو الفداء ، د. ت ، ج٢، ص٣؛ ابن خلدون ، ١٩٨٨ م، ج٣، ص٢٤٧)، فخرج يبحث له عن موضعٍ (أو مكان) فمر على موقع بغداد ، وكان جزءاً منها بستان لرجل من الفرس أطلق على البستان لقب "داذويه" (وتعني بالعربية أعطاني البستان) حيث كان عطية له من كسرى (الحموي ، ١٩٩٥م ، ج١، ص ٤٥٦ ؛ البكري ، ١٤٠٣ هـ، ج١، ص٢٦٢). واستمر بمواصلة سيره حتى وصل موقع الموصل. لكنه عاد أدراجه – مرة أخرى – إلى موقع بغداد بعد أن وجد أن موقعها هو الأفضل . فبدأ ببنائها سنة (١٤٥هـ) (ابن الجوزي، ١٩٩٢ م، ج٨، ص٦٩؛ ابن الوردي ، ١٩٩٦م ، ج١، ص١٨٦؛ الذهبي ، ١٩٩٣م، ج٩، ص٣٤؛ أبو الفداء ، د. ت، ج٢، ص٣،

اليافعي، ١٩٩٧ م، ص٢٣٦). وخلال عام، كان قد سكنها بعد أن أتم بنيانها ، وأكمل عمارتها ، وسماها مدينة السلام ،وسكنها في صفر سنة (١٤٦هـ) (ابن قتيبة الدينوري ، ١٩٩٢م، ص٣٨٧؛ الخطيب البغدادي، ١٤١٧ هـ ، ج١ ، ص٨٧؛ البلاذري ، ١٩٨٨م ، ص٢٨١؛ أبو الفداء ، د. ت، ج٢، ص٣؛ ابن الوردي ، ١٩٩٦م ، ج١، ص١٨٦؛ ابن عبد الحق، ١٤١٢ هـ، ج٢، ص٦١٧).

ولقد حرص أبو جعفر المنصور على حمايتها من أي عدوان خارجي ، فعمل على: تحصينها، وحماية مداخلها ، فجعل لها أربعة أبواب وضع على كل باب تلبيسة من حديد ، فكان إغلاق تلك الأبواب (أو فتحها) يحتاج إلى عصبة من الرجال (المنجم، ١٤٠٨ هـ، ص٣٤، الذهبي ، ١٩٩٣م ، ج٩، ص٣٤).

وعلى صعيد الموقع الاستراتيجي ، فإن بغداد تقع بين نهري دجلة، والفرات ؛وتمتد منها أنهار بداخل بغداد تكون كالخنادق التي تحميها ،والتي تمنع أي عدو من القدوم إليها إلا بعبورها عن طريق السفن بعبور(دجلة والفرات ، أو من خلال القنطرة ، و جسور الأنهار، و التي لو قطعت ،فإن العدو لن يستطيع الوصول إليها) (ابن الجوزي ، ١٩٩٢م، ج٨، ص٧٢؛ المقدسي ، ١٩٩١م، ص١٢٠؛ ابن خلدون ، ١٩٨٨م ، ج٣، ص٢٤٧؛ ابن كثير ، ١٩٨٨م ، ج١٠ ، ص١٠٣) . كما أن بغداد: تتوسط واسط ،والكوفة، والبصرة، والموصل. وهذه من أشهر مدن العراق وأفضلها. وهي تقدم الدعم لبغداد عند حاجتها لأي: دعم ،أو مساعدة.

وهي كذلك قريبة من :البر، والبحر، والجبل (الحموي ، ١٩٩٥م ، ج١، ص٤٥٨؛ ابن خلدون ، ١٩٨٨م ، ج٣، ص٢٤٧) . وهو أمر مهم لعاصمة الخلافة. فالبر سيكون الأفضل لمحاولة الهروب ،عند أي أمر طارئ. والجبل سيكون الخيار المناسب لاحتماء الجيش به من أي عدو. وقربها من البحر يسهل الخروج(أو استقبال) الدعم من الخارج .

ومن ناحية أخرى ، فإن الماء في بغداد غزير. وهو يكمن في : توفر المياه بها ، و سهولة اتصالها بالمدن العراقية الأخرى (عبر نهر دجلة، بواسطة جسور تربط جوانب النهر) . فهذه الجسور في نهري دجلة والفرات تساعد الناس على التنقل بين ضفتي النهر بكل سهولة ، وراحة مما يؤدي إلى اتساع رقعة المدينة وزيادة نفوذها (الخطيب البغدادي، ١٤١٧هـ ، ج١، ص١٢٩؛ الاصطخري، د. ت ، ص٥٩). ويذكر أن المنصور عمد إلى نهري دجلة والفرات وأخرج منهما قناتين، حيث جرهما إلى بغداد، حتى أصبحت الأنهار ومجاري المياه ،تسير وسط المدينة وتمر في: شوارعها، ودروبها، و تخترق قصر الخلافة ،و دور الناس، ومحلاتهم ،فتدور بها ،ومن ثم تخرج منها ، لتصب في نهر دجلة ، أو لتصب في أحد البساتين والمساجد ،أو لتخرج من حي، لتصب في حي آخر، و تتفرع من زقاق، لتنتهي منه في زقاق آخر، فلا يكاد يخلو حي أو مكان دون أن

يجري فيها مجرى مائي عذب . وكانت تلك المياه تجري ليلاً ونهاراً ، صيفاً و شتاءً، لا ينقطع الماء منها أبداً (ابن الجوزي ، ١٩٩٢م ج٨، ص٨١؛ الخطيب البغدادي، ١٤١٧هـ ، ج١، ص١٢٥-١٢٩؛ الحموي ، ١٩٩٥م، ج١، ص٤٦٠) . وهذه المجاري المائية المتوفرة بها، على مدار العام، كانت تغطي احتياج أهل المدينة عندما تجدب السماء، وتقل الأمطار (المقدسي، ١٩٩١م، ص١١٩).

ولقد تميزت بغداد عن غيرها من المدن؛ فهوائها أطيب من كل هواء، وماؤها أحلى من كل ماء، وتربتها أخصب من كل تربة (القزويني ، د. ت ، ص٣١٣؛ الحموي ، ١٩٩٥م، ج١،ص٤٦١)؛ حتى أن صنوف الاشجار والنباتات نمت فيها بسرعة عندما نقلها أبو جعفر المنصور .وهذا ما يدل على :حسن مائها، وخصوبة تربتها، وجمال هوائها (المنجم، ١٤٠٨هـ ، ص٣٥) . وهذه ميزة جيدة بها لتموين أهلها من: ثمارها ،وخيراتها ،وعدم حاجتهم لطلبها من الخارج . وهو ما يفيد في ثباتها، و صبرها على أي محاولة حصار قد تنتابها . و هو يثبت صواب اختيار بغداد من ناحية اقتصادية تموينية (من قبل أبي جعفر المنصور) .

أما من جهة اقتصادية، فكانت بغداد في أيام مملكة العجم (و قبل تمصير أبي جعفر المنصور لها)قرية ذات تجارة، يأتيها التجار بداية كل سنة ، من مختلف البلدان (كالأهواز، وفارس ، وغيرها)، فتعج بمختلف البضائع، وتكثر بها الأموال(ابن الجوزي ، ١٩٩٢م ، ج٤، ص١٤٩؛ ابن مسكويه ، ٢٠٠٠م، ج١، ص٣٢٠؛ الحموي ،١٩٩٥م، ج١، ص٤٥٧؛ الدينوري ، ١٩٩٢م ، ص٣٨٣.) . وكان لوجود نهر الفرات [تأتي من خلاله أنواع الأطعمة والأشربة والميرة]، ووجود الطريق البري الذي تصل من خلاله قوافل الشام ومصر والجزيرة وما حولها ، أثر إيجابي في تفعيل التجارة الداخلية والخارجية. وتساهم في هذا الأثر القوافل التجارية (القادمة من السند ،والهند، والصين ،والبصرة ،وواسط ،والموصل ، وأرمينية ، والجزيرة العربية). وهي بذلك تعتبر المدينة المثالية لتتحمل العدد الكبير من جيش المنصور وجنوده (ابن العبري ، ١٩٩٢م ، ص١٢٢، القزويني ، د. ت ، ص٣١٤-٣١٣؛ الحموي ، ١٩٩٥م ، ج١، ص٤٥٨؛ المقدسي ، ١٩٩١م ، ص١٢٠؛ ابن خلدون ، ١٩٨٨م ، ج٣، ص٢٤٧) ، وهو ما ساعدها لتكون عاصمة الخلافة الإسلامية الأطول عمراً في المشرق العربي. لفترة وصلت إلى ٥٢٤ سنة . حتى كان سقوطها على يد المغول سنة ٦٥٦هـ (ابن العماد الحنبلي، ١٩٨٦ م، ج٧، ص٤٦٧).

التحول إلى القاهرة

في الوقت الذي بدأت تضعف فيه الخلافة العباسية ، خرجت دويلات متعددة في العالم الإسلامي ومنها الدولة الفاطمية العبيدية الشيعية التي بدأت في بلاد المغرب العربي/ بعيداً عن أنظار الخلافة العباسية بالمشرق العربي سنة (٢٨٠هـ)/ حيث أخذ المذهب

في الانتشار على يد أبو عبيد الله المهدي(٦) الذي تنبأ بخروج الإمام المهدي، خلال وقت قريب.

وخلال فترة قليلة، من نشر دعوتهم استطاعوا أن يتغلبوا على دولة الأغالبة سنة (٢٩٦هـ)، ومن ثم أن يقيموا حكمهم في عاصمتها المنصورية في تونس سنة (٢٩٨هـ) . وبعدها عمل الفاطميون على توسيع دولتهم؛ حتى وصلت حدودها إلى: بلاد الشام ، وصقلية ، والحجاز (المقريزي ، ١٤١٨ هـ ، ج٢، ص٢٠٤؛ المقريزي ، د. ت ، ج١، ص٦٦-٦٨، ابن خلدون ، ١٩٨٨م ، ص١٩٦).

ومنذ عام (٣٣١هـ) جهز المهدي الجيوش لغزو مصر، إلا أن الجيش العباسي استطاع صدهم، وردهم، بعد خسائر عظيمة . وأوصى المهدي ابنه المنصور من بعده بفتح مصر، فانشغل بالفتن ،في بلاده عن فتحها (المقريزي ، د.ط، ج ١، ص٦٩). وعند تولي الخليفة المعز الفاطمي (٧) الحكم قرر فتح مصر ، والسيطرة عليها . وكان ذلك خلال حكم كافور الإخشيدي(٨) لها . ولكنه قرر تأجيل ذلك بطلب من والدته التي منعته من احتلال بلاد الإخشيدي بسبب إكرام كافور وإحسانه إليها خلال رحلتها إلى الحج. ولما مات كافور عزم المعز على فتحها (الذهبي ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ج٢٦، ص٣٤٩؛ اليافعي ، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٨٨؛ الذهبي، ٢٠٠٦م، ج١١، ص٤٢٨ ؛ العصامي، ١٩٩٨ م، ج٣، ص٥٤٠)، فأرسل جيشاً إلى مصر، نزل قرب الإسكندرية سنة (٣٥٨هـ) بقيادة جوهر الصقلي (٩) محملاً بما لا يحصى من الأموال والنفائس ليعظم أمرهم لدى أهل مصر (ابن تغري بردي ، د. ت ، ج٤، ص٣٠) فدخل مصر بدون حرب حيث استسلم له أهلها ؛لأن أوضاعها الداخلية كانت تعج بالمشاكل. فلم يكن هناك شخص- بعد وفاة كافور- اجتمع على اختياره أهل مصر.

ومما يذكر أن مصر - خلال تلك الفترة - كانت تعيش في غلاء شديد ؛ بسبب الأوبئة، والأمراض . فانعدمت الأرزاق، وقلت الرواتب، مما دعا بالجيش المصري أن يرسل بعضهم إلى المعز بالله الفاطمي بالمغرب يدعوه للمساعدة ،واستلام مصر منهم . ولما استجاب لهم المعز بالله بإرسال جيشه، هرب بعض أصحاب كافور و أتباعه ،قبل دخول الجيش الفاطمي إليها (الذهبي ، ١٩٩٣م ، ج٢٦، ص٣٤٩؛ اليافعي ، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٨٨؛ ابن كثير ، ١٩٨٨م ، ج ١١، ص٣٠٢؛ ابن عذاري المراكشي، ١٩٨٣ م، ج١، ص٢٢١). وقاتله بعضهم عند الجيزة، إلا أنه انتصر عليهم ، وأعطى أهلها الأمان. فهدأ الناس، وفُتحت الأسواق . ثم اختط جوهر الصقلي منطقة المناخ (وهي القاهرة حالياً) سنة (٣٥٩هـ). وبدأ في بنائها فشيد فيها: قصر الخلافة، و الجامع الأزهر (المقريزي ، ١٤١٨هـ ، ج٢، ص٢٠٤؛ ابن تغري بردي ، د. ت، ج٤، ص٢٨، ٣١، ٣٢؛ السيوطي، ١٩٦٧ م، ج١، ص٢٥)؛ وأطلق جوهر الصقلي على المنطقة لقب المنصورة ، لكن المعز لما قدم إليها غير اسمها

إلى القاهرة (السيوطي ، ١٩٦٧ م، ج١، ص٢٥). وهكذا أصبحت مصر ولاية تابعة للفاطميين، مستتبة الأمن وأصبحت دعائم حكم الفاطميين فيها قوية فتمت الخطبة بالجوامع المصرية للمعز الفاطمي وأعلنت مظاهر التشيع بها (المقريزي ، ١٤١٨هـ، ج٢، ص٢٠٤؛ ابن خلكان، ١٩٠٠م ، ج١،ص٣٧٥؛ ابن تغري بردي ، د. ت ، ج٤، ص٢٨، ٣١، ٣٢)؛ مما شجع الخليفة الفاطمي المعز على قرار الانتقال إليها حاملا معه توابيت: آبائه، و أجداده(ابن العماد الحنبلي، ١٩٨٦م، ج٤، ص٣٢٦). وبهذا إشارة واضحة إلى أن الخليفة المعز كان ينوي الانتقال الدائم للخلافة الفاطمية من الغرب إلى الشرق، وعلى عزمه بالتحول الجغرافي المكاني للفاطميين .

فدخل الخليفة المعز الإسكندرية ،وقابل: أعيانها ،وقضاتها (حيث استقبلوه بكل: رعاية ،واهتمام) ، وأخبرهم أن قدومه للجهاد ، أو الحج، وليس لتوسع سلطانه، وزيادة مساحة حكمه (ابن عذاري ، ١٩٨٣م ، ج١، ص٢٢٨؛ اليافعي، ١٩٩٧م ، ج٢، ص٢٨٨ ،٢٨٩؛ ابن كثير ، ١٩٨٨م ، ج١١، ص٣٢٢) . وبعدها توجه إلى القاهرة حيث جعلها عاصمة له، بدلاً من مدينة المنصورية .وكان ذلك سنة (٣٦٢هـ) (ابن خلدون ، ١٩٨٨م ، ص١٩٦؛ الذهبي ، ١٩٩٣م ، ج٢٦، ص٣٤٨؛ ابن كثير ، ١٩٨٨م، ج ١١، ص٣٠٢؛ المقريزي ، د. ت ، ج ١، ص١٣٤؛ ابن العماد الحنبلي، ١٩٨٦م، ج٤، ص٣٢٦).

وهكذا لم تكن فكرة اختيار وتحديد مصر لجعلها موطن الخلافة الفاطمية وليدة لحظة ، بل كان التخطيط للانتقال والاستقرار بمصر فكرة قديمة تراود الخليفة المعز الفاطمي(لكن رفض أمه بسبب ما نعمت به من حسن استقبال، وتعامل من كافور الإخشيدي كان سبباً لتأجيل فكرة الانتقال إليها). وعندما مات كافور أصبح الوضع مهيأ للمعز فالإخشيدون كانوا على خلاف فيما بينهم حول تولي الخلافة بعد كافور ، والحالة المادية السيئة للبلاد، ساهمت في نقمة الجيش، الذي لم يكن على وفاق فيما بينه، مما أدى الى استيائه من عدم صرف رواتبه ومستحقاته حتى لجأ إلى المعز الفاطمي بأفريقيا يسأله إنفاذ عساكره لتسليم مصر له (ابن خلكان ، ١٩٠٠م ، ج١، ص٣٧٦؛ ابن الاثير ، ١٩٩٧م ، ج٧، ص٢٨٠).

وهنا وجد المعز أن مصر تقدم له على طبق من ذهب، وأن الوقت قد حان للسيطرة عليها ،والانتقال إليها . فالجيش هو من يطلب حضوره .وأهل مصر راضين بمن يتولى أمرهم وشأنهم. وهذه نقطة أخرى وسبب هام لانتقال المعز إلى مصر. فقد يكون لطبيعة أهلها الذين كانوا يرجون السلامة والبحث عن لقمة العيش (وراء مسالمتهم، ورضوخهم لكل من يتولى أمرهم) (١٠). ولعل ما يؤكد ذلك أنه عندما قدم جوهر الصقلي إلى الإسكندرية في مصر ، ذهب

إلى جامع ابن طولون، و أقام الأذان على الطريقة الشيعية و أمر بأن يضاف للأذان "حي على خير العمل". وبالرغم من ذلك استمر بدخوله البلاد دون اعتراض يذكر من أهلها /الذين كانوا على المذهب السني/ المخالف للفاطميين بل سارعوا إلى طلب الصلح /وأخذ عهد الأمان منه /ماعدا بعض المحاولات البسيطة من الإخشيدين/ وبعض الجند /و التي انتهت بسرعة /حيث عادت بعدها الحياة طبيعية مستكينة فيها (ابن خلكان ، ١٩٠٠م، ج١ ، ص ٣٧٨، ٣٧٧) .

فكان هناك قبول من أهل مصر، و آثروا الاستسلام رغبة بالاستقرار والهدوء والعيش بسلام ، بعد التغييرات التي أحدثها جوهر الصقلي في طريقة الصلاة والأذان والدعاء بعد الخطبة ، وغيرها من أمور الشيعة (ابن خلكان ، ١٩٠٠م ، ج١ ، ص ٣٧٩؛ أبو الفداء ، د. ت ، ج٢، ص١٠٩)(التي لا يقبلها المذهب السني). وقد فضل أهل مصر الثبات على المذهب السني، ولم يتحولوا إلى المذهب الشيعي الفاطمي. وعندما وجد جوهر الصقلي الأمر مهيأ والأمن مستتباً بالبلاد دعا المعز الفاطمي للانتقال الدائم إلى مصر. وفي هذا دلالة ومؤشر قوي أن الاختيار لمصر كان بسبب طبيعة أهلها (الذين عرف عنهم السمع ، والطاعة ، والرضا التام، لكل من يتولى أمورهم، مهما كان خلافهم معه، أو رفضهم له) .

أما من الناحية الجغرافية، فموقع مصر كان استراتيجياً بين البلاد: لقربها من الشام ، والجزيرة العربية ، وبلاد أفريقيا . والقاهرة هي أول نقطة في مصر يصل إليها القادم من بلاد الشام (ناصر خسرو، ١٩٨٣م، ص٨٦). وهي تطل على مصادر مائية مهمة كالبحر الأبيض المتوسط . أما داخلها فيوجد نهر النيل الذي يأتي من الجنوب صاعداً حتى الشمال. وهو ذو مياه عذبة ، و يسقي المدينة كلها ، حتى جعل من الأراضي التي حوله: جنة خضراء ، و منطقة غنية بالنشاط الزراعي الوافر والمتنوع (زاخراً : بالأشجار ، و الثمار) (ناصر خسرو ، ١٩٨٣م، ص ٨٣، ٩١). وهذه السلة الغذائية الوفيرة ستعمل على توفير تغذية داخلية للجيش الفاطمي (عند حدوث أي: حصار، أو عدوان خارجي).فالمياه ، والطعام ، متوفران وبشكل دائم فيها .

كانت الكثافة السكانية في مصر، والقاهرة تحديداً مكسباً للخليفة الفاطمي ودولته ؛ تلك الكثافة التي بدأت تزداد تدريجيا بعد أن بدأ جوهر الصقلي ببناء القاهرة (حتى انتشر بها : العمران، و مساكن الناس). فكان يستعان بتلك الأيدي في الجيش وقت الحاجة ، كما كان الغالب منهم يتميز بالمهارة للعمل بجميع: الصناعات، والمهن والحرف . وهو ما يساعد على ازدهار المدينة اقتصادياً، فتغطي احتياجاتها بنفسها، دون الاعتماد على الخارج.

وكان بقاء جوهر الصقلي في مصر، لفترة أربع سنوات تقريباً حرصاً منه على ترتيب أمور مصر وضبطها وتجهيز مدينة القاهرة ببناء خمسة أبواب كبيرة للدخول إليها . و– في الوقت ذاته – حرص على أن تكون قصورها وأبنيتها عالية قوية كالقلاع حتى أن بعض مبانيها كان ذا طبقات متعددة (ناصر خسرو ، ١٩٨٣م، ص٩٠). كما بنى بها القصر المخصص للحاكم وجامع الصلاة ، وذلك لتكون جاهزة لاستقبال المعز الفاطمي . ولما تهيأت أمور مصر ، و أحكم جوهر الصقلي قبضته عليها، وعلى ما حولها (من بلاد: كالشام ،والحجاز) وخضعت هذه البلدان كلها لسلطة الدولة الفاطمية ، قدم المعز بأمواله ، و رجاله إليها (ابن خلكان ، ١٩٠٠م ، ج١ ، ص ٣٧٩، ج٥، ص٢٢٦).

عند دخول المعز الفاطمي إلى مصر– وتحديدا الإسكندرية – ومقابلته لأعيان البلد حاول استمالتهم إليه بأن الغرض الأساسي من انتقاله إليهم: ليس التوسع في حكمه ، و زيادة أراضٍ تابعة لدولته، وإنما هو الرغبة : بالجهاد، وعمل الصالحات ،وليكون قريباً من مكة للحج والعمرة . و عمل على إثارة حميتهم الدينية بنسبه الذي يصل للرسول (صلى الله عليه وسلم) وبما أوصاهم به من خلال خطبه التي أثارت مشاعر الحاضرين ، وأبكت بعضهم من القضاة وأعيان البلاد (اليافعي ، ١٩٩٧م ، ج٢، ص٢٨٨ ،٢٨٩؛ ابن كثير ، ١٩٨٨م ، ج١١، ص٣٢٢؛ ابن عذاري ، ١٩٨٣م ، ج١، ص٢٢٨).

وعندها استطاع أن يضمن ولاء أهل مصر، وانقيادهم إليه (بالرغم من الخلاف المذهبي: بينه ،وبينهم). فأعيان البلد رضوا بوجوده بينهم لاتصال نسبه الشريف . وهو أمر كانت – بلا شك – تحرص عليه الخلافة الفاطمية، لضمان استقرار الدولة ، واستمرار بقائها في مصر . ولعل هذه الصفة في أهل مصر، بالإضافة إلى المميزات الاخرى بالبلد، هو ما جعل الخلافات الإسلامية المتعاقبة بعد الخلافة الفاطمية، تتناوب على جعلها عاصمة لها وعدم تغييرها ، أو استبدالها بمدينة أخرى .

الخاتمة

كان اختيار العواصم للدول أمراً مهماً لبقاء الدولة لأطول فترة ممكنة ، وعدم تفكيكها ، أو زوالها. فالعاصمة هي الأساس القوي الذي يستند عليه الخلفاء.

ومن خلال هذا البحث، استطاعت الباحثة أن تتوصل إلى أهم الأمور الأساسية المعتمد عليها في اختيار العاصمة . وتلك الأمور تكاد تكون متطابقة إلا في بعض الاختلافات البسيطة . فالعامل الجغرافي المكاني لموقع العاصمة هو أهم ما يركز عليه عند اختيار العاصمة . فلابد أن يكون موقعها استراتيجياً متوسطاً للدول والمدن الأساسية ، ولابد أن يكون غير بعيد عن المدن الأخرى، وذلك للحصول على المدد بسرعة ، وقد تجنب الخلفاء أن تكون العاصمة : ساحلية فيسهل احتلالها ، أو في صحراء

(لصعوبة عيش الناس فيها)، أو في جبال(لصعوبة إمدادها بالتموين الغذائي، والتواصل التجاري مع المدن الأخرى). ونجد – من خلال البحث – أن جميع العواصم كانت تتوسط الدولة . وكانت تتميز بقربها من مجاري المياه، كالأنهار مثل: القاهرة ، وبغداد، و دمشق .

وكان هناك حرص على أن تتسم العواصم بنوع من الاكتفاء الذاتي (في التموين الاقتصادي). وكانت جميع العواصم المذكورة ذات تربة خصبة ، ينمو بها العديد من: الثمار ، والفواكه، والأشجار ، وتتوفر بها، أو بقربها مجارٍ من المياه . فالزراعة بها ذاتية . فهي ليست بحاجة لأي : معونة، أو مدد خارجي، إلا ما ندر. وتشترك العواصم الأربعة بهذه الميزة ، فجميعها ذات أرضٍ زراعية تتوافر فيها المياه (على مدار العام) . فهي تموّن نفسها بنفسها . وهذا ما تحتاجه العواصم عند حصول أي حصار خارجي عليها ، بالإضافة إلى الموقع الاستراتيجي؛ حيث تمر من خلاله القوافل التجارية ، والتجار فيسهل تزويدها ،بكل ما قد تحتاجه ، أو يحتاجه الجيش من تموين.

ولم يهمل الحكام والخلفاء (في اختيارهم لعواصمهم) أن تكون: مركز أنصارهم، ومؤيديهم ، أو قريبة منه على أقل تقدير . فالكوفة ، و دمشق اختيرتا بناء على وجود الأنصار والمؤيدين. والكوفة – مثلًا – اختيرت زمن خلافة علي بن أبي طالب لما وجده من كثرة الأنصار فيها. ودمشق كانت معقل أنصار معاوية بن أبي سفيان ومركز مؤيديه ، ومن يرى بأحقيته بالحكم ، ومن هو مستعد للقتال والحرب من أجله. وكذلك عندما اختار المنصور العباسي موقع بغداد عاصمة لملكة كانت في موقع يحيط به أنصاره ومؤيدوه (كالموصل، و الهاشمية، والأنبار)، حتى الخليفة الفاطمي المعز: عندما قدم إلى مصر ، وعمل على بناء مدينة القاهرة، وجعلها عاصمة لملكه كان مطمئناً لأهلها الذين رضوا به ، وبمن قبله . ولم يكن عندهم أدنى رفض لقدومه إليهم ، وإعلانه الخلافة عليهم (وذلك على الرغم من اختلافه المذهبي مع جميع أهلها) ، إلا أن قائده عندما أتى إليهم مذكراً إياهم بقرب نسبهم للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وما وجده من رضا وقبول من أهلها كان دافعاً لدعوة المعز للانتقال إليها وجعلها مركزاً لخلافته . وهكذا كان للعامل البشري دور هام في استقرار العواصم وازدهار أمورها .

وهكذا أيضاً نجد أن اختيار العواصم الإسلامية كان له رؤية مدروسة وتخطيط سليم. وله ملامح أساسية مهمة يعطي الدولة قوة سياسية وأهمية : اقتصادية ، وعسكرية، تساعدها على أن تستمر من خلالها مزدهرة قوية(لفترات طويلة).

التعليقات

١. المسافة الحالية بين الكوفة ودمشق تزيد عن ٩ آلاف كيلو (حوالي ٩ ساعات بالسيارة) ، أما المسافة بين الكوفة والمدينة المنورة فتزيد عن ١٠ آلاف كيلو (حوالي ١٢ ساعة بالسيارة) .

٢. هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس. أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، صاحب الرسول وكاتب الوحي تولى الخلافة سنة ٤١ هـ إثر تنازل الحسن بن علي وعمره ستون سنة، كانت مدة خلافته حوالي عشرين سنة إلا شهرا ، توفي سنة ٦٠هـ عن عمر ناهز الثمانين (أبو جعفر البغدادي ،د. ت ، ص ص١٩-٢١، الدينوري ، ١٩٩٢م، ص٣٤٩).

٣. هو آخر خلفاء بني أمية، قتل وعمره ٦٩سنة ، (أبو جعفر البغدادي، د. ت ، ص٣٣).

٤. هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أول خلفاء بني العباس ومؤسس الدولة العباسية، لقب بالسفاح وبويع بالخلافة سنة ١٣٢هـ ، وتصل مدة خلافته إلى ٤ سنوات و٨ أشهر. توفي سنة ١٣٦هـ، (أبو جعفر البغدادي، د. ت ، ص٣٣-٣٤؛ ابن كثير ، ١٩٨٨ م، ج١٠، ص٦٣).

٥. الراوندية أصلهم من خراسان على مذهب أبي مسلم الخراساني، أتوا قصر المنصور للثورة ضد مقتل أبي مسلم الخرساني ، وعندها أمر المنصور بحبس رؤسائهم ، فعمد أتباعهم إلى كسر السجن وإخراج رؤسائهم منه ، فتوجهوا لقصر المنصور وكان عددهم ٦٠٠ رجل فأغلقت المدينة وحدثت مقتلة قُتل فيها الراوندية جميعا. (ابن الوردي ، ١٩٩٦م ، ج١ ، ص ١٨٦).

٦. هو أبو عبد الله المهدي ذكر أن والده من أصل يهودي واسمه سعيد، وعند انتقاله للمغرب غير نسبه و بدل اسمه إلى عبيد الله ، تحسنت اموره حتى ملك المغرب وبنى مدينة المهدية ، (أبو شامة ، ١٩٩٧م،ج ٢، ص٢١٦؛ ابن تغري بردي، د. ت ،ج٥،ص٣٤٠).

٧. هو أبو تميم معد بن إسماعيل بن القائم العبيدي ، ولد بالمهدية ، تولى الخلافة بعد والده وأصبح حاكم المغرب ، بنيت له القاهرة ونسبت إليه سميت القاهرة المعزية وقد مات بها سنة (٣٦٥هـ) وعمره ٤٦سنة وكانت مدة خلافته ٢٤ عاما . الذهبي ، ١٩٩٣م ، ج٢٦، ص٣٤٩؛ اليافعي ، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٨٨؛ الذهبي، ٢٠٠٦م،ج١١، ص٤٣١؛ الزركلي ، ٢٠٠٢م ، ج٧، ص٢٦٥).

٨. هو عبد شديد سواد البشرة ، جُلب إلى مصر وعمره ١٠ سنوات ، بيع واشُترى حتى وصل كهدية إلى محمد بن طغج الأخشيدي حاكم مصر والشام وأصبح من مواليه ، ترقى عنده حتى أصبح من خاصة خدمه ، حكم مصر والشام بعد وفاة سيده ، وكان ذلك سنة ٣٥٥هـ. كان يدعى له على منابر مكة والحجاز وبلاد الشام ومصر ، توفي سنة ٣٥٦هـ وعمره ٦٥ سنة ، (أبو الفداء ، د. ت ، ج٢، ص١٠٧؛ المقريزي ، ١٤١٨هـ ، ج٣، ص٥٠).

٩. القائد جوهر بن عبد الله الرومي ، كان مملوكا من صقلية ، اهتم به المعز الفاطمي، واعتنى به، وجعله من بطانته، حيث ولاه قيادة الجيوش. أرسله إلى مصر ليأخذها بعد موت كافور الإخشيدي، حيث صعد المنبر، ودعا لمولاه المعز. كان شجاعاً كثير الإحسان ، وكان من أعظم القادة في عهد المعز حتى توفي سنة ٣٨١هـ، (ابن خلكان ، ١٩٠٠ م، ج١، ص٣٧٥؛ الفقي ، د. ت ج١، ص١٠؛ الزركلي ، ٢٠٠٢ م،ج٢،ص١٤٨).

١٠. حيث نجد أنه حكمها العديد من خارج أهلها كالإخشيدين والطولونيين و العباسيين وغيرهم .

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١.

٢. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت : دار الكتب العلمية، ط١ .

٣. ابن العبري، غريغوريوس ابن هارون بن توما الملطي (١٩٩٢ م) ، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني، بيروت : دار الشرق، ط٣.

٤. ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ، تاريخ ابن الوردي ،لبنان: دار الكتب العلمية ،ط١.

٥. ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله الظاهري (د. ت) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر : دار الكتب.

٦. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة ،بيروت : دار الفكر ،ط٢.

٧. ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (١٩٠٠ م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت : دار صادر .

٨. ابن عبد الحق، عبد المؤمن ابن شمائل القطيعي البغدادي (١٤١٢ هـ) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، بيروت: دار الجيل،ط١.

٩. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م) ، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، لبنان : دار إحياء التراث العربي، ط١.

١٠. ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (٢٠٠٠ م) ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران: سروش، ط٢.

١١. أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر (د. ت)، المختصر في

أخبار البشر، مصر : المطبعة الحسينية المصرية ،ط١.

١٢. أبو شامة ، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، بيروت : مؤسسة الرسالة، ط١.

١٣. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (د. ت) ، المسالك والممالك، القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة.

١٤. الأندلسي ، ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (١٩٠٠ م) ، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، مصر: دار المعارف ،ط١.

١٥. البغدادي ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي(د. ت) ، المحبر ، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، بيروت: دار الآفاق الجديدة.

١٦. البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (١٤٠٣ هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، بيروت : عالم الكتب، ط٣.

١٧. البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (١٩٨٨ م)، فتوح البلدان ، بيروت : دار ومكتبة الهلال.

١٨. الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (١٩٩٥ م) ، معجم البلدان، بيروت : دار صادر، ط٢.

١٩. الحنبلي، ابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، بيروت: دار ابن كثير، ط١.

٢٠. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (١٤١٧ هـ) ، تاريخ بغداد ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت : دار الكتب العلمية ،ط١.

٢١. خليفة بن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (١٣٩٧ هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دمشق : مؤسسة الرسالة ،ط٢.

٢٢. الديار بكري ،حسين بن محمد بن الحسن (د. ت)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ،بيروت : دار صادر .

٢٣. الدينوري ، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (١٩٩٢ م) ، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢.

٢٤. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود(١٩٦٠ م) ، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، القاهرة : دار إحياء الكتب العربي ، ط١.

٢٥. الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت : دار الكتاب العربي، ط٢.

٢٦. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) ، سير أعلام النبلاء، القاهرة – دار الحديث.

٢٧. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد ،(٢٠٠٢ م) الأعلام، لبنان : دار العلم للملايين، ط١٥.

٢٨. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر : دار إحياء الكتب العربية ،ط١.

٢٩. الطبري ، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (١٣٥٦ هـ) ، ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، القاهرة : مكتبة القدسي .

٣٠. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (١٣٨٧ هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، بيروت : دار التراث ، ط٢.

٣١. العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م) ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود– علي محمد معوض، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١.

٣٢. العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (١٤٢٣هـ) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أبوظبي: المجمع الثقافي، ط١.

٣٣. الفسوي ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م)، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط٢.

٣٤. الفقي ، محمد كامل، (د. ت)، الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، مصر : المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف.

٣٥. القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (د. ت)،آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت : دار صادر .

٣٦. المراكشي، ابن عذاري أبو عبد الله محمد بن محمد (١٩٨٣ م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، لبنان : دار الثقافة، ط٣.

٣٧. المسعودي ، أبو الحسن على بن الحسين بن على (د. ت) ، التنبيه والإشراف ، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة : دار الصاوي.

٣٨. المعجم الوسيط ، القاهرة : مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى ، وآخرون ، مصر : دار الدعوة.

٣٩. المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري،(١٤١١/١٩٩١م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة : مكتبة مدبولي، ط٣.

٤٠. المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر (١٤١٨ هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت : دار الكتب العلمية، ط١.

٤١. المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر (د. ت) ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين

الخلفاء، تحقيق ج١: جمال الدين الشيال، مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط١.

٤٢. المنجم، إسحاق بن الحسين (١٤٠٨ هـ) ، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، بيروت : عالم الكتب، ط١.

٤٣. موفق الدين الشافعي، أبو محمد بن عبد الرحمن ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن الشارعي (١٤١٥ هـ)، مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ط١.

٤٤. ناصر خسرو، أبو معين الدين الحكيم القبادياني المروزي (١٩٨٣م) ، سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشاب، بيروت : دار الكتاب الجديد ،ط٣.

٤٥. اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت : دار الكتب العلمية، ط١.

The selection of Islamic capitals: causes and motives

Athary Ibraheam Alshuaibi
king Faisal University

Abstarct Choosing a capital for any country or nation is a key factor in its organizational and economical composition. It also gives an impression about its social status and political vision. Most of the motives in choosing a capital for any country are usually unannounced. Researchers have to study that and link it to previous and next events to fully understand the reasons for choosing the capital of any nation. There were many states which ruled and led the Islamic nation world-wide or region-wide. Each of these states had a new capital usually made by them and different from the states before them. This process requires searching and studying from researchers for the motives of choosing the capital of any state. It also needs to be analyzed to discover the common reasons in choosing a capital in these states. For these reasons this study came to discuss the motives and to identify the common factors in choosing the capitals for the Islamic states.
As a result, the researcher chose four capitals as a selected sample for the main Islamic caliphates and countries. These capitals are: Kufa, Damascus, Baghdad, and Cairo. The researcher divided the paper into four major parts, and tried through that to study the advantages of these capitals in different areas. These areas are : geography, strategy, military, politics, and economy. The researcher ended the paper with a conclusion which discussed the main results. Overall, the results show that the geographic factor is the most important reason in choosing a capital. Self-sufficiency in economic and food supply was also essential in choosing a capital so the capital does not require any help or support in general. The rulers did not ignore to choose a capital which is a center for their supporters or at least close to them. So, it is clear that choosing the Islamic capitals was done with a lot of efforts and planning. There were some basic features in choosing the capital which gave these states: political strength, and provided military, and economic importance to these states which allowed the capital to stay strong and thriving for long periods.
key words: Islamic history - Islamic capitals - Islamic civilization